الصحيح والمعلول في ما ورد من آثار و أحاديث عن بدء خلق الرسول(ﷺ)

الشيخ إبراهيم الأزرق❁

مقدمة :

الحمد لله الذي خصّ هذه الأمة وميزها عن سائر الأمم بالإسناد، فليس لأحد من الأمم كلّها إسناد موصول إلى رسول، وإنّما هي صحف ورقاع، اختلط فيها ما نزل من السماء بما خطته الأهواء، فلا تمييز لما جاءت به الأنبياء عمّا أقحمته الأدعياء، لم تتميّز إلاّ هذه الأمة المرحومة المعصومة، وصلّى الله على البشير النذير والسراج المنير القائل : (من حدّث بحديث يرى أنّه كذب فهو أحد الكاذبين)[1]، (ومن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)[2] .

❁ علم سوداني وداعية .

(١) حديث المغيرة بن شعبة، وهو صحيح رواه الإمام مسلم في المقدمة من صحيحه ٨/١، ورواه غيره، قال الإمام النووي (شرح مسلم له ٦٤/١) : "ضبطناه يرى بضمّ الياء، والكاذبين بكسر الباء وفتح النون على الجمع، وهذا هو المشهور في اللفظتين، وذكر بعض الأئمة جواز فتح الياء في يرى وهو ظاهر حسن، فأمّا من ضمّ الياء فمعناه يظن، وأمّا من فتحها فظاهر، ومعناه وهو يعلم، ويجوز أن يكون يعني يظن أيضاً فقد حكي رأي بمعنى ظن، وقيّد بذلك لأنّه لا يأثم إلاّ بروايته ما يعلمه أو يظنّه كذباً، أمّا ما لا يعلمه ولا يظنّه فلا إثم عليه في روايته، وإن ظنّه غيره كذباً أو علمه، وأمّا فقه الحديث فظاهر ففيه تغليظ الكذب والتعرّض له، وأنّ من غلب على ظنّه كذب ما يرويه فرواه كان كاذباً وكيف لا يكون كاذباً وهو مخبر بما لم يكن .

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، عند البخاري ٥٢/١ برقم (١١٠)، وعند مسلم ١٠/١برقم (٣) ومن حديث المغيرة، وقد عدّه بعض أهل العلم ممّا بلغ حدّ التواتر .

وبعد :

سأقتصر في هذه الأوراق على الأحاديث التي ترد فيما يتصل ببدء خلق الرسول (ﷺ) في كثير من الأشعار والمدائح والموالد . وكنت أعزم قبل البدء على ذكر فصل يحسن إدخاله وفيه بيان فضل نبينا (ﷺ) من القرآن الكريم والسنة الثابتة، ولكنّي خشيت أن يطول المقام ولم أوف، فآثرت الاكتفاء بما خطه علماؤنا الأجلاّء في الخصائص والشمائل والسير، ثمّ حداني العجز إلى الترنم بقول القائل :

وليس يصحّ في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وهل يطلب مسلم بيان الدليل على فضل الشفيع الجليل ؟ ألم يسمع بالمقام المحمود ؟ ألم يذكر له الحوض المورود ! ثمّ ماذا أقول ؟ أأقول أنّ محمدا (ﷺ) أفضل الخلق ؟

متى ما أقول مولاي أفضل منه أكن للـــذي فــضلته متنقـــصا

ألم تر أنّ السيف يزري به الفتى إذا قال أنّ السيف أمضى من العصا !

إنّ الواحد نصف الاثنين، والمعروف لا يعرف، وما يدرك بالحسّ أو بالشمّ أو بالذوق أو باللمس أو بالإبصار لا يستدل عليه، وما علم من الدين بالضرورة لا يفتقر إلى دليله مسلم، وهكذا فضل نبينا (ﷺ) معلوم بالإضطرار، تضافرت عليه أدلة الكتاب الصريحة، والسنة الصحيحة، علمها العامي مع أهل التحقيق فلسنا بحاجة إلى بنيّات الطرق !

فهذا الحق ليس له خفاء ودعني من بنيّات الطريق

وبعد :

فقد أرسل إليّ الأخ الكريم رئيس هيئة تحرير مجلة دراسات دعوية خطاباً يشتمل على بعض الأحاديث التي وردت عن بدء خلق الرسول (ﷺ) ويتساءل فيه عن مدى صحة هذه الأحاديث وعن معنى ما يصحّ منها .

وقبل أن أشرع في بيان الأحاديث، أنبّه على مسألتين :الأولى : ليس هناك مزية لكون الشيء سابقاً لغيره في الزمان، فإبليس سبق خلقه أبا البشر آدم

عليه السلام، وأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام خير من أنبياء وقبائل وشعوب بادت قبل مولده. فعلام يحتدم الجدل، ولماذا تضييع الأوقات ولا طائل!

الثانية: على طلبة العلم أن يشغلوا أنفسهم بما ينفع، ممّا يثمر عملاً صالحاً، وأن يتركوا المراء والجدل، فإنه لا يأتي بخير، وقد قيل: (إذا أراد الله بقوم سوءاً أعطاهم الجدل، ومنعهم العمل):

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل

أمّا الحديث الأول: (أنا أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً) فهو الحديث الثاني نفسه: (إنّ الله خلقني قبل النبيين وبعثني بعدهم فبدأ بي قبلهم)، ذكره بعض أهل العلم بمعنى قريب منه (انظر تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٣/٤٧٠) فالكلام فيهما واحد.

فالمرفوع منه إلى النبي (ﷺ) ضعيف، والأشبه أنّه مرسل من قتادة رحمه الله[٣]، ومع ذلك فلأهل العلم في بيان معناه كلام معروف لا إشكال معه.

وهذه الألفاظ جاءت في رواية الإمام إبي جعفر بن جرير الطبري، في تفسير سورة سبحان، من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه، في بعض روايات أحاديث الإسراء وهي مطولة جدا، قال ابن كثير، رحمه الله، : "وفيها غرابة" (تفسير القرآن العظيم ٣/١٨)، وقد ساقها ابن جرير في تفسيره (١٥/٦) من حديث علي بن سهل، حدثنا حجاج، حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره. وقد ساق الأثر أيضاً في تهذيب الآثار من نفس الطريق برقم (٧٢٧) ١/٤٢٢.

وقد روى هذا الأثر أيضاً ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٣/٣٧٣) من طريق جعفر بن أحمد بن عاصم ثنا هشام بن عمار ثنا بقية حدثني سعيد بن بشير حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة، ثمّ قال ابن عدي: "وهذا يرويه عن قتادة سعيد بن بشير وخليد بن دعلج، وقد ذكر رواية خليد بن دعلج له في الكامل من طريق البزار (٣/٤٩) عندما ذكر خليداً بلفظ (كنت أول الناس). ولكنه في سياق تفسير قوله تعالى: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم)[٤].

---

[٣] مرسل قتادة له حكم الحديث المعضل، وهو ضعيف.

[٤] الأحزاب: آية (٧)

قال ابن كثير (التفسير (٣/٤٧٠) : " قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة الدمشقي، حدثنا محمد بن بكار، حدثنا سعيد بن بشير، حدثني قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة،رضي الله عنه ، عن النبي (ﷺ)في قوله تعالى : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) ، قال النبي (ﷺ) : (كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم) . سعيد بن بشير فيه ضعف، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلاً وهو أشبه، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفاً والله أعلم " .

وذكروا أنّ ابن حاتم رواه في تفسيره كما ذكر السيوطي في الدرّ المنثور في الأحاديث المشتهرة، ولم أجد عنده في تفسير الآية، فليحقق .

وفي هذين السياقين ذكر أهل العلم الحديث فرواه أبو القاسم الطبراني في مسند الشاميين (٤/٣٤) من حديث سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة مرفوعاً .

ورواه تمام ابن يحيى في فوائده (٢/١٥) من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة .

ورواه الخلال في كتاب السنة (١/١٨٧)من طريق أبي جعفر الرازي .

ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/١٤٩)قال : أخبرنا عبد الوهاب ابن عطاء[٥]، عن سعيد ابن أبي عروبة، عن قتادة، قال : وأخبرنا عمر بن عاصم الكلابي، أخبرنا أبو هلال، عن قتادة قال : قال رسول الله (ﷺ) : وذكر نحوه (كنت أول الناس) هكذا مرسلاً، وكذلك ابن أبي شيبة روى نحوه (بدأ بي في الخلق وكنت آخرهم في البعث) مرسلاً عن قتادة (المصنّف ٦/٣٢٢) .

وهكذا رواه أبو نعيم في الدلائل ص ٦ مرسلاً عن قتادة وانظر البداية والنهاية ٢/٢٩٨ .

---

[٥] هو الخفّاف وقد جعل ابن حجر عبد الوهاب من المرتبة الخامسة، ولعلّ هذا على أسوأ الأحوال، ولكنّه كان من أعلم الناس بحديث سعيد خاصة وأرواهم عنه كما نقل عن الإمام أحمد وذكره ابن عدي وغيره، وقد كتب عنه قديماً قبل اختلاط سعيد، فقد نصّ غير واحد على أنّ سماعه منه قديم، ومنهم أبوداود ونقله عن أحمد (تهذيب الكمال ٢٢/٢٨٢، تاريخ بغداد ١١/٢٣، وتهذيب التهذيب ٦/٣٩٩)، وقد ميّز الخفّاف اختلاط سعيد فقد نقل الذهلي عنه في ترجمة سعيد من تهذيب التهذيب أنّه سنة ثمان وأربعين فدلّ ذلك على أنّ الخفّاف فارق سعيداً إلى بغداد بعد أن حمل عنه وهو صحيح ثمّ لقيه بعد أن اختلط بزمن فذكر اختلاطه، وإلاّ فلا يخفى على ملازم لسعيد أمر اختلاطه ثلاث سنوات مع شدته .

أمّا الموقوف على قتادة فقد رواه ابن جرير في تفسير الآية ١٢٦/٢١ فقال : حدثنا محمد بن بشار، قال ثنا سليمان، قال ثنا أبو هلال، قال : كان قتادة .

وهذا إسناد جيد كالمرسل ولا تعارض بينهما ، فقد كان قتادة رحمه الله من أئمة التفسير، فربما فسر الآية مراراً لمن حضره، وربما أرسل أحياناً . ورواه غيرهم وكلهم من أحد الطريقين السابقين .

وبهذا يتبين أنّ الشاهد جاء مرفوعاً من طريقين :

الأول : طريق أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في زياداته على حديث الإسراء الطويل، وقد روى أبو جعفر الرازي عن الربيع مناكير، قال في مشاهير علماء الأمصار (١٢٦/١): " الربيع بن أنس بن زياد البكري سكن مرو، سمع أنس بن مالك، وكان راوية لأبي العالية، وكلّ ما في أخباره من المناكير إنما هي من جهة أبي جعفر الرازي " .

قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢٠٧/٣) : "ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه، لأنّ في أحاديثه عنه اضطراباً كثيراً" وكلام ابن حبّان، الذي أشار إليه الحافظ، في الثقات (٢٢٨/٤) .

أمّا أبو جعفر وهو عيسى بن ماهان الرازي، فقد اختلف كلام أئمة الشأن فيه، بين مصحّح ومضعّف، والذي يظهر، والله أعلم، أنّ أحسن أحواله أن يكون كما قال الحافظ ابن حجر وهو أنه : "صدوق سيئ الحفظ"[٦] (التقريب ٦٢٩) ، هذا في الجملة، ولكنّه ضعيف فيمن أثّرت له

---

[٦] صدوق سيء الحفظ عند الحافظ ابن حجر تشير إلى أنّ الراوي من الخامسة عنده وهي المرتبة التي اختلفت فيها أفهام النقاد، فمنهم من يراها أدنى القبول كالشريف العوني، ومنهم من يراها أول الرد كأحمد شاكر أبو غدة، ومنهم من يفصل فإنّ قيل صدوق يهم فهو مقبول، وإن قيل صدوق سيء الحفظ فهو ردّ، والذي يظهر للمتأمل المتتبع لمن انطلقت له هذه المرتبة أنّ من جعل من أهلها فهو (صدوق) فحديثه حسن وعلى هذا الإطلاق جلّ المتأخرين، فإذا قيّد بأنّ له أوهاماً، وجب أن تراجع تراجمه المطولة لمعرفة ما إذا أخطأ أو خالف في الحديث المعنى بعينه، أو أنّه لا يقبل في تفرده عن رواة بعينه، وهذا وإن كان يرد حتى عن الثقات لكنه في هذه الطبقة

مناكير عنهم كأبي العالية، وقد قال ابن حبّان : "كان ممّن يتفرّد من المناكير عن المشاهير" (السير ٣٤٨/٧) .

وهذا الحديث لم يروه عن الربيع بن أنس غيره، فلا يقبل تفرّده به، فلربما أخطأ سيئ الحفظ فأدخل طرفاً من حديث رجل في حديث آخر، فلهذا لا يقبل تفرّده، بل لابدّ أن يروي الأثر عن من رواه عنه آخر أقلّ أحواله أنّه يكتب عنه، كيف وقد نصّ الحفّاظ بأنّ كلّ رواية لأبي العالية منكرة فإنّها من طريقه ! ومن هنا يتبيّن وجه قول ابن كثير عن الأثر : "وفيه غرابة" .

أمّا الطرق الأخرى المرفوعة فهي في معرض تفسير الآية : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) الآية، وهي أيضاً ضعيفة كما ذكر الحافظ ابن كثير، ولا تصلح شاهداً للأخرى ، فهي من رواية خليد بن دعلج، وسعيد بن بشير عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة، وهي طرق مليئة بالطرق القادحة، وإليك بعضها :

خليد بن دعلج ضعيف، ولاسيّما إذا حدّث عن قتادة فقد أثرت عنه مناكير (انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٨٤/٣)، وقد ضعّفه أحمد ويحيى بن معين، وقال الدار قطني متروك، وقال ابن حبان كثير الخطأ، ورجّح ابن حجر ضعفه، وكذلك الذهبي وغيرهم مثله لا يتابع على حديثه .

أمّا سعيد بن بشير فالقول ما ذهب إليه الحافظ بن حجر، قال في التقريب ٢٣٤ : "لعلّ الأرجح فيه أنّه ضعيف في روايته عن قتادة، ليس بالقوي، يكتب حديثه عن غيره" . وقد قال ابن نمير (الجرح والتعديل ٦/٤) : "سعيد بن بشير منكر الحديث، وليس بشيء، ليس بقوي الحديث، يروي عن قتادة المنكرات"، وبهذا علم ضعف الأثر المرفوع من طريق قتادة، فسعيد ليس بشيء فيه، فلا ينجبر برواية غيره عنه، فكيف إذا كان الراوي الآخر منكر حديثه عنه مع ضعفه .

أكثر، فالفرق بين الخامسة : (صدوق له أوهام ونحوها) والرابعة : (الصدوق) أنّ احتمال الخطأ والوهم في الخامسة وارد وهو قوي وكثير، لكنّه لا يخرجه عن دائرة الحسن ولهذا قيل صدوق ثمّ قيد بيهم، هذا ما يظهر والله أعلم .

ومن العلل في هذا الطريق أيضاً مخالفة خليد وسعيد لمن رووا هذا الأثر عن قتادة ممّن هم أوثق منهما، كأبي هلال وسعيد ابن أبي عروبة، فخالف هؤلاء الثقات فرفعوه وبهذا تتحقق نكارة ما ذكرا .

ومن علل هذا الحديث، التي يضعف بها ولو صحّ عن قتادة، وهو بعيد عن أهل الصناعة، أنّه من رواية الحسن عن أبي هريرة، وقد نصّ الحفّاظ على أنّه لم يسمع منه (انظر سير أعلام النبلاء ٥٦٦/٤)، قال أبو زرعة الرازي، كما في المراسيل ص ٣٦ : "لم يسمع الحسن من أبي هريرة ولم يره . فقيل له : فمن قال حدّثنا أبو هريرة ؟ قال : يخطئ .

وقال الإمام أحمد بن حنبل (العلل ومعرفة الرجال ص ١٤٤) : "ثنا عفان، ثنا وهيب، قال : قال أيوب : لم يسمع الحسن من أبي هريرة" وقد ذكر غيرهم أنّه سمع واحداً فقط، وأمّا ما يذكر من تصريحه بالتحديث عمّن قرّر الأئمة عدم سماعه منهم، كأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم، فبعض المحققين من الأئمة على أنّه خطأ منه أو من غيره، وبعض أئمة الشأن ذكر أنّه كان يتأوّل التحديث عن أصحابه، وليس هذا موضع بسط الكلام في هذا، الشاهد لا يدري من أسقط الحسن بينه وبين أبي هريرة هنا ليقال يتقوّى بغيره، فضلاً عن أنه لم يرد غيره ممّا يصلح للتقوى به، والله أعلم .

فالذي يظهر للمتأمل، والله أعلم بالصواب، أنّ الحديث بهذه الألفاظ ضعيف بل هو منكر، أي ضعيف جداً، وقد ضعّفه الألباني، رحمه الله، في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٥٥/٢ رقم(٦٦١) . ويظهر أنّه مرسل من قتادة كما روى الثقات عنه، وصحّ أيضاً عنه موقوفاً، وهو من تفسيره للقرآن، وقد كان قتادة من أئمة التفسير .

أمّا معنى الأثر : فقد قال أهل العلم فيه أقوالاً من أظهرها وأرجحها :

إنّ المراد بالخلق التقدير لا الإيجاد، وهو من معاني الخلق اللغوية المعروفة (انظر مختار الصحاح ص ٧٨ خ ل ق : يقال خلق الأديم إذا قدّره قبل القطع، بل الأصل في معنى خلق قدّر واستعمل في الإبداع [انظر التعريفات ٣٢٤/١] .

وهو الذي اختاره الغزالي، قال المناوي (فيض القدير ٥٣/٥) : "وأمّا قول الحجة : المراد بالخلق التقدير لا الإيجاد فإنّه قبل ولادته لم يكن موجوداً"، وهو قول جمع ممن يأتي بيانهم عن

الأحاديث التالية، وقد تعقّبه السبكي – رحمه الله– (انظر فيض القدير للمناوي ٥/٥٣ وكشف الخفاء للعجلوني ٢/١٧٠) فقال : "إن كان كذلك لم يختص" .

وهذا التعقب ليس بشيء، فلئن كان في السبق بالإيجاد العيني مزية واختصاص فالتقدير مثله، ولئن لم تكن له مزية سقط الاعتراض بالاختصاص، كما أنّ الاختصاص هنا له وجهه، فإنّه مع التقدير والكتابة رفع ذكره (ﷺ)وأظهر اسمه للملأ في ذلك الوقت كما سيأتي في كلام أهل العلم، وهذا وجه تشريف .

وقد ذهب السبكي بعد أن ذهب إلى ردّ القول بوجود النبي (ﷺ)بجسمه في ذلك الوقت، أشار إلى أنّ المراد روحه، لمّا جاء أنّ الأرواح خلقت قبل الأجساد، وهذا غير مسلّم به، يحتاج إلى إثبات[٧]، وقد علمه أبو حامد الغزالي، وقرر غيره وردّه .

هذا وقد اعترف بعضهم بأنّه لا سبيل لإثبات أنّ الروح سبقت الجسم بالأدلة العقلية[٨]، فعلم أنّه لا سبيل لتقرير هذا الزعم، بالشرع ولا بالعقل، فالشرع أتى بخلافه، فإنّ الذي ثبت في حديث الصادق المصدوق، أنّ الروح تنفخ بعد أن يجمع الخلق ويستتم أربعين ثمّ أربعين ثمّ أربعين[٩] .

---

[٧] وهو من عقيدة الشيعة، فهم يروون عن الصادق قوله : "إنّ الله آخى بين الأرواح قبل أن يخلق الأبدان بألفي عام" انظر الاعتقادات للصدوق ص ٢٦، والفقيه ٤/٣٥٢، وبحار الأنوار ٦/٢٤٩ . وهو اعتقاد عند أهل السنة خلافه .

[٨] ومن هؤلاء السياغي، حيث قال في تحفة المشتاق إلى شرح أبيات المولى إسحاق ص ١٣ : "وأمّا الاعتضاد بالدليل العقلي فالحق ما ذكره بعض المحققين أنّ وجود النفس قبل البدن لم يحصل بذلك دليل عقلي" .

[٩] وما يروونه من أحاديث كحديث عتبة بن السكن (المتروك) وأرطأ بن المنذر (وفي أحاديثه أغلاط) : إنّ الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، ونحوها فضعيفة، ومن أراد مزيد بيان فليراجع كتاب (الروح) للعلامة ابن القيّم، فصل في الدليل على أنّ خلق الأرواح متأخر على أبدانها ص ١٧٢، وما بعدها .

كما أنّ الإنسان قبل خلقه ليس بشيء، والروح شيء، كما قال تعالى : (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) . فالصواب ما ذكره أبو حامد الغزالي، رحمه الله، في معنى هذا الحديث، وسيأتي بإذن الله مزيد بيان لهذا الوجه عند ذكر الأحاديث الأخرى .

وأبعد من هذا قول ابن عربي محي الدين صاحب الفصوص والفتوحات المكية، وقد ساقه المناوي في فيض القدير(٥/٥٣)، والتمس له تأوّلاً بما يشبه القول الثاني الآتي، والذي ذكره أهل العلم في هذا الأثر، وتأويل المناوي لكلام ابن عربي وجه غير الذي أراده ابن عربي، ومعنى غير الذي قرره في فصوصه وفتوحاته ، والذي بناه على اعتقاد وحدة الحقيقة الوجودية، ولعلّه تأتي الإشارة إليه عند ذكر آخر حديث .

القول الآخر في معنى هذا الحديث ذكره الخلاّل بعد أنّ ساق الأثر، وهو قول الإمام أحمد قال: "أول النبيين–يعني خلقاً– (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) بدأ به" (السنة للخلال ١/١٨٨) قال مجاهد : "هذا في ظهر آدم عليه السلام" (تفسير القرطبي ١٤/١٢٧) ذكره القرطبي بعد أن ذكر قول قتادة، وقد جاء في بعض طرق حديث (كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد) الآتي، قوله (ﷺ): "حين أخذ مني الميثاق" (انظر طبقات ابن سعد ١/١٤٨) وقد أشار إليه في كشف الخفاء وفيض القدير والدرّ المنثور وغيرهم) .

ولم يقل أحد من أهل العلم المعتبرين أنّ النبي (ﷺ) كان مخلوقاً بجسده وروحه، موجوداً قبل ولادته فضلاً عن خلق الخلائق، ولو قاله لردّ ولعازه الدليل الصحيح، بل الأدلة على خلاف هذا، وليس في ذلك نقص من مقامه (ﷺ) كما أنّه ليس لمن خلق أولاً فضل على من بعده لمجرد هذا .

أمّا الحديث الثالث : (إني عند ربي لخاتم النبيين وإنّ آدم لمجندل في طينه) وهو حديث العرباض بن سارية السلمي، وهو حديث مختلف في ثبوته بين الأئمة، قال ابن حجر في تعجيل المنفعة في ترجمة سعيد بن سويد الكلبي من رواة هذا الحديث ١/١٥٢ : وقال : " البخاري لم يصح حديثه، يعني الذي رواه معاوية عنه مرفوعا (إني عبد الله وخاتم النبيين في أمّ الكتاب وآدم منجدل في طينته) وخالفه ابن حبان والحاكم فصححاه" . وقد قال الذهبي في تاريخ الإسلام : "وقد روينا

بإسناد حسن –إن شاء الله– ثمّ ذكر الحديث"[١٠]، وقال شيخه ابن تيمية (الفتاوى ٧٢٨/١٠) : "وكذلك في حديث العرباض بن سارية الذي رواه أحمد وهو حديث حسن عن النبي (ﷺ) أنّه قال (إني عند الله لخاتم النبيين وإنّ آدم لمجندل في طينته) الحديث" .

أمّا تأويله فواضح بيّن يأتي بعد بيان حكمه بإذن الله .

والذي يظهر للباحث المتأمل من طرق الحديث وألفاظه وما جاء في معناه أنّ فيه ضعفاً، ولكن موضع الشاهد بمعناه حسن، فقد جاء من حديث الترمذي وغيره (كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد)، وهو غير الحديث الآخر الباطل الذي فيه (وآدم بين الماء والطين) أو (ولا ماء ولاطين) فهو من وضع بعض الجهال، ويأتي بيانه بإذن الله .

تنبيه :

أمّا الجزء الأخير من الحديث الذي جاءت فيه هذه الألفاظ وهو قوله (ﷺ): (وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم . .) فهو صحيح جاء بأسانيد جيّدة، بغير الزيادة التي جاءت في بعض الروايات: (وهكذا أمّهات الأنبياء يرين) .

وقد روي هذا الحديث جمع من أهل العلم بألفاظ متقاربة منهم :

الإمام أحمد في المسند (١٢٧/٤ و ١٢٨) قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا معاوية يعني بن صالح، عن سعيد بن سويد الكلبي، عن عبد الله بن هلال السلمي، عن عرباض بن سارية قال : قال رسول الله (ﷺ): (إني لعبد الله لخاتم النبيين وإنّ آدم عليه السلام لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمّهات النبيين ترين) حدثنا أبو العلاء وهو الحسن بن سوار قال: حدثنا ليث عن معاوية، عن سعيد بن سويد، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن عرباض بن سارية قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : (إني عبد الله وخاتم النبيين) فذكر مثله، وزاد فيه أنّ أمّ رسول الله رأت حين

---

(١٠) وقد أشار في تاريخ الإسلام في ترجمة سعيد بن سويد أنّه لم يجد من تكلم فيه بجرح، وبهذا يفهم وجه تحسينه، وهذا مشكل فقد أشار في الميزان إلى تضعيف البخاري وابن عدي له وسيأتي، إلاّ أن يقال لم يتقرر عنده هو أو غيره، والله أعلم . كما يشكل عليه مخالفته للحاكم في تصحيحه من طريق ابن أبي مريم .

وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام . وقد جاءت روايات أخرى (عند الله لخاتم النبيين) والأكثرون يروونه (إني عبد الله) وهو الأقرب، وكأنّ (عبد) تصحفت إلى (عند) عند بعضهم .

وقد رواه أيضاً الحاكم في مستدركه ٢/٢٥٦، وابن حبان في صحيحه ١٤/٣١٣، وذكره الهيثمي في موارد الظمآن ١/٥١٢، والطبراني في الكبير ١٨/٢٥٢، وفي مسند الشاميين ٢/٢٤٠، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٣٦، والطبري في تفسيره ١/٥٥٦ كذلك ٢٨/٨٧، والبيهقي في الشعب ٢/١٣٤، ورواه ابن أبي عاصم في السنن ١/١٧٩، وقد رواه الطبري في التاريخ الكبير ٦/٦٨ والصغير ١/١٣ والأوسط، وأبو نعيم في الحلية ٦/٩٠، وابن سعد في الطبقات الكبرى ١/١٩٠، ورواه النميري في أخبار المدينة ١/٣٣٥، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٢/٢٠١، ورواه أبو القاسم في تاريخ مدينة دمشق ١/١٦٨ و ٢١/٩٩، ورواه البزّار، وابن مردويه، وهو عند جمع غير هؤلاء، كلهم من إحدى طريقي أحمد أعني سعيد بن سويد عن عبد الله أو عبد الأعلى، أو من طريق سعيد بن سويد عن العرباض بغير واسطة، ورواه ابن شاهين في دلائل النبوة عن الأوزاعي مرسلاً، وكذلك روى أبو نعيم بسند منكر أنّه جواب لسؤال عمر، بنحو الحديث التالي، ولكنّ لفظه (وآدم منجدل في طينته) . وقد ذكر الآخرين ابن كثير في البداية والنهاية .

أمّا طريق سعيد بن سويد عن عبد الأعلى فهو في روايات معاوية بن صالح عنه (وقد رواه عنه الليث بن سعد، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن وهب وعبد الله بن صالح)، وجاءت كذلك في رواية عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد، وهي غريبة ذكرها في تاريخ مدينة دمشق والتفرد في هذا الطريق في كل الطبقات، وعامة الرواة يذكرونها عن معاوية بن صالح أو ابن أبي مريم، وفي جميع الطرق عن معاوية بن صالح جاء بلفظ (إني عبد الله) إلا في طريق عبد الله بن وهب عند الطبري (٢٨/٨٧)، وابن حبان في الصحيح (١٤/٣١٢)، والذي يظهر أنّ هذا تصحيف، فقد ذكره ابن حبان في الثقات (٥/١٢٨) بلفظ (عبد الله) في ترجمة عبد الأعلى، كما أنّ حرملة بن يحى وإبراهيم بن المنذر روياه عن ابن وهب بلفظ (عبد الله) كما في تاريخ مدينة دمشق (٢١/٩٩) وأخبار المدينة للنميري (١/٣٣٥) .

وهو في تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير (١/١٨٥، ٣/٤٩٥، ٤/٣٦١) بلفظ (عند الله) معزوا لمسند أحمد من الطريق التي ذكرت في المسند (٤/١٢٧)، ولعلّ هذا تصحيف آخر من النساخ فما في اليمنية المثبت المطبوع هو (عبد الله)، كما أنّ الإمام أحمد رواه في موضعين آخرين بلفظ (عبد الله) . والخلاف يسير فالمعنى قريب إن شاء الله .

أمّا أبوبكر بن أبي مريم فأسقط في روايته عبد الأعلى، فكلّ من روى الحديث من طريقه لم يذكره فدلّ ذلك على أن ابن أبي مريم هو من أسقط عبد الأعلى . والأصحّ رواية ابن صالح وهو ابن حيدر بن سعيد بن سعد بن فهر الحضرمي الشامي الحمصي، فهو من الثقات بخلاف بكير بن عبد الله بن أبي مريم فهو ضعيف (انظر الجرح والتعديل ٢/٤٠٤) .

وأمّا عبد الله أو عبد الأعلى بن هلال السلمي، وهو الصواب في اسمه كما قاله عبد الله بن الإمام أحمد (المسند ٤/١٢٨) وكذا قال ابن حجر في إتحاف المهرة (١١/١٤٥) .

فقد ذكره ابن حبان في الثقات (٥/١٢٨) برقم ٤١٨٦، ولم أجد من وثّقه، بل وجدت الحسيني يذكر أنّه مجهول (الإكمال للحسيني ١/٢٥١) .

ومعروف ابن حبان بتفرده عن الجمهور بتوثيق من لم يعرف فيه جرح، وهو المجهول أو مستور الحال عند الجمهور، ولكنّ الذي يخفف من وطأة هذا هو أنّ الراوي إذا روى عنه ثقتان فالأظهر انتفاء الجهالة عنه أو كانت جهالته يسيرة كما قرّر جمع من الحفاظ وقد نصّ على ذلك ابن القيّم في زاد المعاد ٥/٣٨، وذكره الإمام الدار قطني في سننه ٣/١٧٤ وغيرهم جمع من المتقدمين والمتأخرين كالمزي والذهبي، ورجّح ابن حجر أنّه روى عنه ثقتان ولم يوثق فمستور الحال، وهذه مسألة شائكة، أعني من روى عنه الثقات ولم يؤثر فيه كلام بجرح أو تعديل ولم يأت بما يستنكر ويخالف هل يكون مستور الحال كما قال ابن حجر (النزهة ٥٣) وعليه جل المتأخرين، أو ترتفع عنه الجهالة مطلقاً كما نصّ عليه جمع من الأئمة والنقاد، وبغضّ النظر عن الراجح في هذا، أعجبتني كلمة للشريف حاتم العوني، قال في (المرسل الخفي ١/٣٧٥-٣٧٧) : " وإذا لم نجد في شيوخ التابعين أو المخضرمين توثيقاً ولا تجريحاً منصوصاً عليه فإنّ لهذه الطبقة العليا، والصدر الأول من التابعين، ميزة على غيرهم، لعدم فشو الكذب فيهم، والجلالة طبقتهم، إلى قول ابن الصلاح : "يشبه

أن يكون العمل على هذا الرأي، في كثير من كتب الحديث المشهورة، في غير واحد من الرواة الذين تقادم العهد بهم، وتعذرت الخبرة الباطنة بهم" .

ثمّ قال :"ولا يشك من لاحظ سياق ابن الصلاح ، إنّ (العمل) الذي جاء في كلامه، أو كما قال :"(العمل على هذا الرأي) هو رأي من احتجّ برواية المستور . حيث ذكر ابن الصلاح قبل كلامه السابق كلاما لسليم بن أيوب الرازي (ت ٤٤٧ هـ) في الاستدلال لمن احتجّ بحديث المستور .

لذلك أقول : إنّ من فهم كلام ابن الصلاح على غير الذي ذكرناه، وفسّر (العمل) الوارد بغير الاحتجاج فإنه واهم ! (انظر رواة الحديث الذين سكت عليهم أئمة الجرح والتعديل بين التوثيق والتجهيل لعدّاب محمود الحمش ٢٢٢) .

وهذا الفهم لكلام ابن الصلاح سبق إليه الحافظ عماد الدين ابن كثير في (اختصار علوم الحديث) وكفى به . وسيأتي كلام ابن كثير بعد أسطر .

ونعود إلى مسألة الاحتجاج بكبار التابعين، فهذا الإمام الذهبي يقول في آخر كتابه (ديوان الضعفاء) : "وأمّا المجهولون من الرواة : فإن كان الرجال من كبار التابعين أو أوسطهم، احتمل حديثه، وتلقي حديثه بحسن الظنّ، إذا سلم من مخالفة الأصول وركاكة الألفاظ. وإن كان الرجل منهم من صغار التابعين فيتأنّى في رواية خبره، ويختلف ذلك باختلاف جلالة الراوي عنه، وتحرّيه، وعدم ذلك . وإن كان المجهول من أتباع التابعين، فمن بعدهم فهو أضعف لخبره سيّما إذا انفرد به" .

فهذا كلام في معاملة المجاهيل وطبقاتهم في الاحتجاج يكتب بماء الذهب ويفرح به الحديثي فرحاً جمّا ! .

وقال الحافظ ابن كثير أيضاً في (اختصار علوم الحديث) : "فأمّا الذي لم يسم أو من سمى ولا تعرف عينه، فهذا ممّن لا يقبل روايته أحد علّمناه، ولكنّه إذا كان في عصر التابعين، والقرون المشهود لهم بالخير فإنه يستأنس بروايته، ويستضاء بها في مواطن" .

قلت : وتنبّه –أخي– أنّه يتكلم عن (مجهول العين) ومع ذلك جعله يستأنس بروايته، فإذا كان من مجهول الحال ومن التابعين، فلا شكّ أنّه سيرتفع عند ابن كثير عن مجرد الاستئناس . والمسألة لم

تزل في حاجة إلى دراسة تستجلي بقية جوانبها، وتضع لنا قاعدة واضحة في حكم الجهالة في طبقة كبار التابعين .

وكلّ ما أستطيع الجزم به هنا، هو أنّ لهذه الطبقة، من كبار التابعين، ميزة لا يصحّ معها أن يلحق الرواية عنهم لوم أو عيب في أقلّ تقدير .أ هـ عن المرسل الخفي ١/٣٧٥-٣٧٧ .

فمثل هذا ممّا يستأنس به هنا وبخاصة أنّ عبد الأعلى من الطبقة الوسطى من التابعين وهؤلاء يشملهم كلام الذهبي السابق وابن كثير .

ولكن إذا تجاوز الباحث- بشق الأنفس كما ترى- ما قرّره المتأخرون في مثل عبد الأعلى، فإنّه مضطر للوقوف أمام البخاري وابن عدي، لما قرّراه في سعيد بن سويد الكلبي، قال ابن حجر (لسان الميزان ٣/٣٣) : "سعيد بن سويد روى عنه عمرو بن مرة، ذكره ابن عدي مختصراً وقال البخاري لا يتابع في حديثه انتهى، وذكره ابن حبان في الثقات وقال يروي عنه معاوية قلت قال ابن أبي حاتم روى عن عمر بن عبد العزيز وعبد الأعلى ابن هلال وعنه ماوية بن صالح وأبوبكر بن أبي مريم" (وانظر ميزان الاعتدال للذهبي ٣/٢١٢)، بالإضافة لكونه روى ما لا يتابع عليه كما قال البخاري في حديث صلّى بنا معاوية الجمعة بضحى (انظر التاريخ الكبير رقم (١٥٩٤) ٣/٤٧٧) .

فالذي يظهر أنّ الأقرب فيه ما ذكره البخاري رحمه الله .

أمّا معنى الحديث :

(لمنجدل في طينته) : منجدل : أي ملقى على الجدالة، وهي الأرض (انظر غريب الحديث لابن الجوزي ١/١٤٤) . ولذلك قال الخطابي : (أي مطروح على وجه الأرض، صورة من طين) (انظر غريب الحديث للخطابي ٢/١٥٦) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/١٤٩ : "ومحمد سيد ولد آدم، فهو أعظم الذرية قدراً، وأرفعهم ذكراً، فأخبر أنّه كتب نبياً حينئذ، وكتابة نبوته هو معنى كون نبوته، فإنّه كون في التقدير الكتابي، ليس كوناً في الوجود العيني، إذ نبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس أربعين سنة من عمره، كما قال تعالى له : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب

ولا الإيمان)[١١]، وقال : (ألم يجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالاً فهدى)[١٢]، وقال : (نحن نقصّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين)[١٣] .

ولذلك جاء هذا المعنى مفسراً في حديث العرباض بن سارية " ثمّ ذكره وذكر طريقه، وقال أيضاً في الفتاوى (٧٢٨/١٠) معلقاً على الحديث : "فكتب الله وقدّر في ذلك الوقت وفي تلك الحال أمر إمام الذرية، كما حال المولود من ذرية ولد آدم بين خلق جسده ونفخ الروح فيه، كما ثبت ذلك في الصحيحين من حديث ابن مسعود" .

ونصوص أهل العلم في هذا المعنى كثيرة وفيما ذكر كفاية .

وممّا يزيد الحديث جلاءً الحديث الآخر : (كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد)، وهو حديث صحيح[١٤]، بخلاف الحديث الآخر: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)، والآخر (كنت نبياً ولا ماء ولا طين)، أو (كنت نبياً وآدم منجدل في طينته) فإنّها لا أصل لها .

---

[١١] سورة الشورى : آية (٥٢)

[١٢] سورة الضحى : آيات (٦،٧)

[١٣] سورة يوسف : آية (٣)

[١٤] حديث صحيح مروي عن أبي هريرة، وابن عباس، وميسرة الفجر، وعبد الله بن الجدعاء إن لم يكن هو ميسرة كما قيل، رضي الله عنهم، وبمعناه عن غيرهم، وهو عند الترمذي ٥٨٥/٥ رقم (٣٦٠٩)، وفي مسند أحمد في غير موضع ٦٦/٤ و ٥٩/٥ و ٣٧٩/٥، وفي مستدرك الحاكم ٦٦٥/٢ برقم (٤٢٠٩)، وفي الأحاديث المختارة للضياء ١٤٢/٩ برقم (١٢٣)، ومصنف ابن أبي شيبة ٣٢٩/٧، وفي المعجم الأوسط للطبراني ٢٧٢/٤ برقم (٤١٧٥)، وفي الكبير ٩٢/١٢ برقم (١٢٥٧١)، و ١١٩/١٢ برقم (١٢٦٤٦)، و٣٥٣/٢٠ برقم (٨٣٣)، وساقه الروياني في المسند مرسلاً من عبد الله بن شقيق ٤٩٦/٢ برقم (١٥٢٧)، ورواه الخلال في السنة ص ١٨٨ رقم (٢٠٠)، وكذلك ابن أبي عاصم في السنة ص ١٧٩ برقم (٤٠٩)، وكذلك عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ٣٩٨/٢ برقم (٨٦٤)، ورواه ابن سعد في الطبقات مرسلاً عن مطرف بلفظ (بين الروح والطين)، ورواه غيرهم وفي من ذكر كفاية فيها أسانيد صالحة .

الشاهد قوله (ﷺ): (كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد) جاء جواباً لسؤال توضحه رواية الترمذي للأثر، قال: (عن أبي هريرة –رضي الله– قال: قالوا يارسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد) .

ومعنى الحديث:

كالذي من قبله، قال عبد الله الصديق الغماري في رسالته مرشد الحيارى معلقاً على هذا الحديث: "وهو يفيد أنّ معنى كونه نبياً: إظهار ذلك في العالم العلوي قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام" .

وقد بيّن الحديث أيضاً سرّ إعلان نبوته في ذلك العهد وأنّه يرجع إلى أمرين اختص بهما: أحدهما: أنّه سيد ولد آدم .

والآخر: أنّه خاتم الأنبياء، وأيد ذلك بما ذكره من بشارة إبراهيم وعيسى عليهم الصلاة والسلام .

والأنبياء جميعهم نبوتهم ثابتة في تقديره وقضائه، لكن لم يرد في خبر أنّ الله تعالى أظهر نبوة أحد منهم بالتعيين قبل خلق آدم، فلم يكن ذلك إلاّ لنبينا (ﷺ) وهذا سرّ قوله: "كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد" أي أنّ حملة العرش والملائكة عرفوا اسمه ونبوته قبل خلق آدم عليه السلام، وهم لم يعرفوا آدم إلاّ بعد خلقه .

وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٥٦/١٠: "قالوا له: متى وجبت لك النبوة أي: ثبتت، قال: (وآدم بين الروح والجسد)، أي وجبت لي النبوة، والحال أنّ آدم مطروح على الأرض صورة بلا روح، والمعنى أنّه قبل تعلق روحه بجسده . قال الطيبي: "هو جواب لقولهم متى وجبت؟ أي وجبت في هذه الحالة . فعامل الحال وصاحبها محذوفان" .

وهذا الإيجاب بما كتب في القدر . فقد جاء الحديث في بعض طرقه بلفظ (متى كتبت نبياً) كما عند الطبراني، ومسند الروياني، وغيرها .

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٦٩/١٨): "وقوله: (كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد)، وفي لفظ (كتبت نبياً) كقوله: (إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإنّ آدم لمجندل في طينته)، فإنّ الله بعد خلق آدم، وقبل نفخ الروح فيه، كتب وأظهر ما سيكون من ذريته، فكتب

نبوة محمد وأظهرها، كما ثبت في الصحيحين عن النبي (ﷺ) قال: (يجمع خلق أحدكم في بطن أمّه أربعين يوما نطفة، ثمّ يكون علقة مثل ذلك، ثمّ يكون مضغة مثل ذلك، ثمّ يبعث إليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات، فيقال اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، ثمّ ينفخ فيه الروح، فقد أخبر أنّه بعد أن يخلق بدن الجنين في بطن أمّه، وقبل نفخ الروح فيه، يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيّ أو سعيد. فهكذا كتب خبر سيد ولد آدم، وآدم منجدل في طينته قبل أن ينفخ الروح".

تنبيه:

روى هذا الحديث هدبة بن خالد فقال: ثنا حماد بن سلمة، ثنا خالد الحذاء، عن عبد الله بن شقيق، عن رجل بلفظ (متى بعثت نبيا) قال: (وآدم بين الروح والجسد). (انظر الآحاد والمثاني ٣٤٧/٥ والسنة ١٧٩/١).

والذي يظهر للباحث المتأمل أنّ هذه اللفظة (بعثت) خطأ شذّ به هدبة بن خالد، رحمه الله، لم يتابعه فيه أحد، فهدبة، وإن كان ثقة لم يضعّفه غير النسائي، وتضعيف النسائي له غريب، فقد خالفه الجماعة ممّن رووا هذا الحديث عن حمّاد بن سلمة، منهم سريج بن النعمان كما في المسند ٦٦/٤ و ٣٧٩/٥، وعفّان بن مسلم، وعمرو بن عاصم كما طبقات ابن سعد الكبرى ١٤٨/١، فهؤلاء ثلاثتهم خالفوا هدبة في روايتهم عن حماد، فرواه سريج بلفظ (متى جعلت نبيا)، ورواه الآخران بلفظ (متى كنت نبيا) وهكذا رواه جمع من غير طريق حماد بن سلمة، وحديث سريج بمعناه، والله أعلم.

ولو صحّ أنّ لفظ (بعثت) محفوظ فلا إشكال في معناه. فمعناه: متى أبرز اسمك، وأعلنت نبوتك؟ فأجاب (ﷺ): (وآدم بين الروح والجسد). أي كنت نبياً مقدراً ومكتوباً أعلن ذلك وأذيع، وآدم في تلك الحال. كما صحّت بذلك الروايات الأخرى، فتكون مبينة لهذه، والله أعلم.

أمّا الحديث الآخر الذي يروونه بلفظ: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)، ومثله (كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين) فحديث باطل موضوع لا أصل له، ولا يستقيم مع عقل.

وقد زعم العلقمي في شرح الجامع الصغير أنّه صحيح. ولعلّه اختلط عليه مع حديث (وآدم بين الروح والجسد)، كما اختلط على المناوي في فيض القدير، فظنّ أنّ معناهما واحد، فصحّحه

به . والصحيح أنّ حديث (وآدم بين الماء والطين) أو (ولا آدم ولا ماء ولا طين) ليس له سند، ولم يخرجه من أهل العلم أحد .

وهذا بعض كلام أهل العلم فيه :

قال السخاوي في المقاصد الحسنة : "وأمّا الذي على الألسنة بلفظ : (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) فلم نقف عليه بهذا اللفظ، فضلاً عن زيادة (كنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين) " .

قال المباركفوري بعد أن نقل كلام السخاوي في التحفة عن المرقاة ١٠/٥٦ : "وقال الزركشي : لا أصل له بهذا اللفظ" وكلام الزركشي نقله أيضاً علي القاري في المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص ١٤٢، ثمّ ذكر صاحب التحفة كلام السيوطي، وهو في الدّرّ المنثور في الأحاديث المشتهرة قائلاً : "قال السيوطي : وزاد العوام (ولا آدم ولا ماء ولا طين) ولا أصل له أيضا [١٥] .

ممّا قيل في بطلان معناه :

قال شيخ الإسلام (الفتاوى ٢/١٤٧) : "وأمّا ما يرويه هؤلاء الجهّال كابن عربي في الفصوص، وغيره من جهّال العامة (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)، و(كنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين)فهذا لا أصل له، ولم يروه أحد من أهل العلم الصادقين، ولا هو في شيء من كتب العلم المعتمدة بهذا اللفظ، بل هو باطل . فإنّ آدم لم يكن بين الماء والطين قطّ، فإنّ الله خلقه من تراب، وخلط التراب بالماء حتى صار طيناً، وأيبس الطين حتى صار صلصالاً كالفخار، فلم يكن له حال بين الماء والطين مركب من الماء والطين، ولو قيل بين الماء والتراب لكان أبعد عن المحال، مع أنّ هذه الحال لا اختصاص لها وإنما قال : (بين الروح والجسد)، وقال :(وإنّ آدم لمنجدل في طينته) لأنّ جسد آدم بقي أربعين سنة قبل نفخ الروح فيه، كما قال تعالى : (وإذ قال ربك للملائكة إنّي خالق بشراً من صلصال من حمأٍ مسنون فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له

---

[١٥] انظر في هذه النقول وغيرها التذكرة في الأحاديث المشتهرة ص ١٧٢ المقاصد الحسنة ص ٥٢٢ تمييز الطيب من الخبيث ص ١٢٦ كشف الخفاء ٢/١٧٣ تنزيه الشريعة ١/٣٤١ الأسرار المرفوعة ص ١٧٨ تذكرة الموضوعات ص ٨٦ أسنى المطالب ص ٢٤٣ .

ساجدين)[١٦]، وقال تعالى : (الذي أحسن كلّ شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثمّ جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثمّ سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون)[١٧]" .

قال عبد الله الغماري في مرشد الحائر بعد أن نبّه على أنّ الحديث لا أصل له :

"وما يوجد في كتب المولد النبوي من أحاديث لا خطام لها ولا زمام، هي من الغلوّ الذي نهى الله ورسوله عنه، فتحرم قراءة تلك الكتب، ولا يقبل الاعتذار عنها بأنّها في الفضائل لأنّ الفضائل يتساهل فيها برواية الضعيف، أمّا الحديث المكذوب فلا يقبل في الفضائل اجماعاً، بل تحرم روايته إلاّ مع بيان أنّه موضوع .

والنبيّ (ﷺ) يقول : (من حدّث عني بحديث يرى أنّه كذب فهو أحد الكاذبين) يرى بضمّ الياء : معناه يظنّ .

ويقول : (من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار) .

وفضل النبي (ﷺ) ثابت في القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة، وهو غنى عمّا يقال فيه من الكذب والغلوّ، وقال (ﷺ) : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى فإنّما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) . أ هـ كلام الغماري .

أمّا الحديث الأخير : (وأول ما خلق الله نور نبيك يا جابر)، والمنسوب لمصنف عبد الرازق كذباً وزوراً، فهو حديث موضوع، نبّه على ذلك جمع وكتبوا فيه .

مع العلم أنّ في هؤلاء المؤلفين السلفي والأشعري، ومن فيه تجهّم ! وكلّهم على وضعه، ولم يقل به إلاّ دعاة وحدة الوجود، والاتحادية، ومن قلدهم من الجهّال، وممّن نبّه على وضعه عبد الله الصديق الغماري، في رسالة بعنوان : "مرشد الحائر لبيان وضع حديث يا جابر" .

---

[١٦] سورة الحجر : آية (٢٨)

[١٧] سورة السجدة : آيات (٧ – ٩) .

وكذلك هنا رسالة لأبي عمر محمد العطايا، حول هذا الحديث، وقد استفدت منها في النقل هنا .

ومحمد أحمد عبد القادر الشنقيطي، في تنبيه الحذاق على ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنّف عبد الرازق .

وكذلك رسالة (النور المحمدي) لعداب الحمش .

وهناك من تعرض له في معرض حديثه كالصادق محمد إبراهيم في رسالته "خصائص المصطفى بين الغلوّ والجفا" .

أمّا نصّ الحديث فهو : عن جابر، رضي الله عنه، قال : سألت رسول الله (ﷺ)عن أول شيء خلقه الله تعالى ؟فقال: (هو نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثمّ خلق فيه كلّ خير وخلق بعده كلّ شيء، وحين خلقه أقامه قدامه من مقام القرب اثني عشر ألف سنة، ثمّ جعله أربعة أقسام : فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم) .

وأقام القسم الرابع في مقام الحبّ اثني عشر ألف سنة، ثمّ جعله أربعة أقسام : فخلق القلم من قسم، واللوح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثني عشر ألف سنة، ثمّ جعله أربعة أجزاء : فخلق الملائكة من جزء، والشمس من جزء، والقمر والكواكب من جزء .

وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثني عشر ألف سنة، ثمّ جعله أربعة أجزاء : فخلق العقل من جزء، والعلم والحكمة من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء .

وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثني عشر ألف سنة، ثمّ نظر الله –عزّ وجلّ– إليه، فترشح النور عرقاً، فقطر منه مائة ألف أربعة وعشرون ألف قطرة من النور، فخلق الله من كلّ قطرة روح نبي أو روح رسول، ثمّ تنفّست أرواح الأنبياء، فخلق الله من أنفاسهم الأولياء والشهداء والسعداء والمطيعين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون من نوري، والروحانيون والملائكة من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري، وملائكة السموات السبع من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل والتوفيق من نوري، وأرواح الرسل والأنبياء من نوري، والشهداء والسعداء والصالحون من نتاج نوري .

ثمّ خلق الله اثني عشر ألف حجاب فأقام الله نوري، وهو الجزء الرابع في كلّ حجاب ألف سنة، وهي مقامات العبودية والسكينة والصبر والصدق واليقين، فغمس الله ذلك النور في كلّ حجاب ألف سنة، فلمّا أخرج الله النور من الحجب ركبه الله في الأرض، فكان يضيء منها ما بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم .

ثمّ خلق الله آدم من الأرض فركب فيه النور في جبينه، ثمّ انتقل منه إلى شيث، وكان ينتقل من طاهر إلى طيب، ومن طيب إلى طاهر إلى أنّ أوصله الله صلب عبد الله بن عبد المطلب، ومنه إلى رحم أمي آمنة بنت وهب، ثمّ أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين وقائد الغرّ المحجلين .

قال عبد الله الغماري : وقد ذكره بتمامه ابن العربي الحاتمي في كتاب "تلقيح الأذهان ومفتاح معرفة الإنسان"، والديار بكري في كتاب "الخميس في تاريخ أنفس نفيس . وعزوه إلى رواية عبد الرازق خطأ، لأنّه لا يوجد في مصنفه ولا جامع تفسيره . وقال الحافظ السيوطي في الحاوي : "ليس له إسناد يعتد عليه" أ . هـ، وهو حديث موضوع جزماً، وفيه اصطلاحات المتصوفة وبعض الشناقطة المعاصرين ركّب له إسناداً فذكر أنّ عبد الرازق رواه من طريق ابن المنكدر عن جابر وهذا كذب يأثم عليه .

قلت : وممّن أخطأ فعزاه لعبد الرازق العجلوني في كشف الخفاء، وقد اعتمد على إحالة صاحب المواهب[١٨] .

وقال أبو عمر، في بحثه المشار إليه : "وعزاه لـ (مصنف عبد الرازق) : السيوطي في الخصائص الكبرى والقسطلاني[١٩] وابن عربي الصوفي[٢٠] وأحمد رضا الريلوي[٢١] ومحمد عثمان

---

[١٨] قال في كشف الخفاء (٣١١/١) بعد أن ذكره : "كذا في المواهب" .

[١٩] المواهب اللدنية ٤٦/١ .

[٢٠] الفتوحات المكية ١١٩/١، قلت : وابن عربي وإن انتسب للتصوّف ونسب إليه، فكثير من المتصوفة، وأهل العلم منهم خاصة يتبرأون منه، بل نقل عن بعضهم تكفيره كأبي العباس الشاذلي تلميذ أبي الحسن الذي تنتسب إليه الطائفة الشاذلية .

عبده البرهاني[٢٢] وجماعة آخرون من المتصوفة، وذكره الديار بكري في "الخميس في سيرة أنفس نفيس" [٢٣].

ولم أقف عليه في شيء من كتب الحديث حتى كتب الموضوعات بل مصنف عبد الرازق فالعزو إليه إمّا وهم، وإمّا خلط بحديث آخر يأتي ذكره، إن شاء الله تعالى، في موضوع متسق، وإمّا محض كذب وافتراء . والله أعلم" .

قال السيوطي في الحاوي (١/٢٢٣ – ٢٢٥) : والحديث المذكور في السؤال ليس له إسناد يعتمد عليه .

وعقّب على هذا الكلام عبد الله الغماري (في ملحق قصيدة البردة ص ٧٥) قائلاً : وهو تساهل قبيح بل الحديث ظاهر الوضع، واضح النكارة . . إلى أن قال : "والعجب أنّ السيوطي عزاه إلى عبد الرازق مع أنّه لا يوجد في مصنفه ولا تفسيره ولا جامعه وأعجب من هذا أنّ بعض الشناقطة صدّقوا هذا العزو المخطئ فركّب له إسنادا من عبد الرازق إلى جابر، ويعلم الله أنّ هذا كلّه لا أصل له فجابر، رضي الله عنه، بريء من رواية هذا الحديث وعبد الرازق لم يسمع به"، وذكر في الحاشية أنّ المنصوص عن عبد الرازق في تفسيره أنّ أوّل الأشياء[٢٤] وجودا الماء .

---

[٢١] رسالة الصفا في نور المصطفى (ص ٣٣، مجموعة الرسائل) [كما في كتاب "البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان إلهي ظاهير (ص/١٠٢ – ١٠٣)]، وزعم هذا المتنبئ الأفّاك أنّ الأمّة تلقت هذا الحديث بالقبول وهو زعم باطل إلاّ إن عني بالأمّة أمّته الضالة التي آمنت بنبوته .

[٢٢] تبرئة الذمة لمحمد البرهاني (ص ٩) . وقال : حديث صحيح، ثمّ عزاه لكتاب لا وجود له أسماه (جند الخلد) .

[٢٣] كما في المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير (المقدمة ص ٧) .

[٢٤] عنى بالأشياء المخلوقات .

وقال أحمد بن الصديق الغماري : مستدركاً على السيوطي –أيضاً– : (وهو حديث موضوع لو ذكره بتمامه لما شكّ الواقف عليه في وضعه، وبقيته تقع في ورقتين من القطع الكبير، مشتملة على ألفاظ ركيكة، ومعان منكرة)[٢٥] .

ووافقه على وضعه الأستاذ عبد الله الهرري بعد أن أورد عبارة أحمد الغماري في كتابه الدليل القويم ص ١٨٠ وقال عقبه : "وهو جدير بكونه موضوعاً" .

وبعض الدجاجلة ينسبه لمسند الإمام أحمد ، ولا أخاله من الألف ألف حديث التي اختار منها المسند ، وبعضهم يزعم أنّه حصل عليه من طريق الكشف، وقد علّق الغماري على ذلك بقوله : "وقد ادّعى بعضهم أيضا أنّ هذا الحديث، أي حديث جابر المفتعل، صحّ كشفاً . فهذا كلام لا معنى له لأنّ الكشف الذي يخالف حديث رسول الله (ﷺ)لا عبرة به" . وقد بيّن مخالفته للقرآن والسنة بقوله : "أقول : هذا الحديث مخالف لقوله تعالى : (قل إنّما أنا بشر مثلكم)[٢٦]، ومخالف للحديث الذي وراه البخاري والبيهقي وابن الجارود عن عمران ابن حصين أنّ أهل اليمن أتوا الرسول (ﷺ)فقالوا : يا رسول الله جئناك لنتفقّه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟، قال : "كان الله ولم يكن شيئاً غيره، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كلّ شيء، ثمّ خلق السموات والأرض"، وللحديث الذي رواه ابن ماجة وابن حبّان أنّ أبا هريرة قال : يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرّت عيني فأنبئني عن كلّ شيء قال : "إنّ الله تعالى خلق كلّ شيء من الماء"، وللحديث الذي رواه السّدي الكبير عن ابن عباس موقوفا : "ما خلق الله تعالى شيئاً ممّا خلق قبل الماء" .

الشاهد أنّ هذا الحديث لا سند له إلاّ سند مركب محدث، لا وجود له في كتب أهل العلم المسندة، لا صحيح ولا ضعيف .

---

[٢٥] انظر المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير ص ٧ .

[٢٦] سورة الكهف : آية (١١٠)

ولم يقل بما فيه أحد من أهل العلم سلفيّهم وأشعريهم، بل ومن فيهم شيء من التجّهم والاعتزال .

ما قال به إلاّ أهل وحدة الوجود ومن قلّدهم من جهّال المتصوفة أو نقل عنهم، وهو دليل عندهم على أنّ كلّ ما في الوجود واحد في أصله، ومن هؤلاء ابن عربي محي الدين صاحب فصوص الحكم، والفتوحات المكية، والإدريسية، فقد تمسّك بهذا الحديث الموضوع وخلطه بموضوعات أخرى مثل حديث (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) الذي سبقت الإشارة إليه، واستدل به على مذهبه، فزعم أنّ حديث (كنت نبياً وآدم بين الطين والماء) إشارة إلى أنّ نبوته كانت موجودة في أول خلق الزمان في عالم الغيب دون عالم الشهادة، فلما انتهى الزمان بالاسم الباطن إلى وجود جسمه، وارتباط الروح به، انتقل حكم الزمان في جريانه إلى الاسم الظاهر، فظهر بذاته جسماً وروحاً[٢٧]، ولو اكتفى بهذا لصحّ التماس العذر له في أنّ مراده قولاً قريباً من قول السبكي كما زعم المناوي، رحمه الله، ولكنّه صرح عن مراده بقوله في الفتوحات : "فكان الحكم له باطناً أو في كلّ ما ظهر من الشرائع على أيدي الأنبياء والرسل ثمّ صار الحكم له ظاهراً فنسخ كلّ شرع أبرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر لبيان اختلاف حكم الاسمين وإن كان الشرع واحداً، وآدم بين الروح والجسد" ثمّ زاد في التصريح فقال : "فكلّ بني آدم من لدن آدم إلى آخر نبي، ما منهم أحد إلاّ يأخذ من مشكاة خاتم النبيين وإن تأخر وجود طينته فإنه بحقيقته موجود، وهو قوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد" . ثمّ ضرب مثلاً قائلاً: "وبهذا العلم سمّي شيث لأنّه معناه علم الله فبيده مفتاح العطايا باختلاف أصنافها ونسبها، فإنّ الله وهبه لآدم أول ما وهبه، وما وهبه إلاّ منه، لأنّ الولد سرّ أبيه فمنه خرج وإليه عاد، فما أباه غريب لمن عقل عن الله . وكلّ عطاء في الكون على هذا المجرى . فما في أحد من الله شيء، وما في أحد من سوى نفسه شيء وإن تنوعت عليه الصور" ثمّ صرح بمراده بأبين من هذا لما قال : "فأي صاحب كشف شاهد صورة تلقى إليه ما لم يكن عنده من المعارف وتحنه ما لم يكن قبل ذلك في يده فتلك الصورة عينه لا

---

(٢٧) انظر فيض القدير ٣٥/٥، وهو في الفتوحات المكية ص ١٨٠ .

غيره، فمن شجرة نفسه جنى ثمرة غرسه" وقد قال في الفتوحات : "ولّما رأينا أنّ النهاية أشرف من البداية، قلنا من عرف نفسه عرف ربه، والاسم سلم للمسمى، ولّما علمنا أنّ الروح الرحيم عمل في روح (باسم) لكونه نبياً وآدم بين الماء والطين، علمنا أنّ (باسم) هو الرحيم، فانعدمت البداية والنهاية والشرك والتوحيد ، وظهر عزّ الاتحاد وسلطانه، فمحمد للجمع وآدم للتفريق" .

وقال في الإدريسية :" فهو العلي لذاته، أو عن ماذا وما هو إلا هو؟ فعلوّه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات، فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها ، وليست إلّا هو . فهو العلي لا علوّ إضافة، لأنّ الأعيان التي لها العدم، الثابتة فيه، ما شمّت رائحة من الوجود فهي على حالها مع تعداد الصور في الموجودات،والعين واحدة من المجموع في المجموع" .

ثمّ قال : ومن عرف ما قررناه في الأعداد ، وأنّ نفيها عين إثباته أي، علم أنّ الحق المنزه هو الخلق المشبه، وإن كان قد تميز الخلق من الخالق بالأمر الخالق المخلوق، والأمر المخلوق الخالق، كلّ ذلك من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة، وهو العيون الكثيرة . (فانظر ماذا ترى؟ قال : (يا أبت افعل ما تؤمر)والولد عين أبيه، فما رأى يذبح سوى نفسه، (وفداه بذبح عظيم) فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة إنسان وظهر بصورة والد لا بل بحكم ولد ، والولد من هو عين الوالد ، وخلق منها زوجها فما نكح سوى نفسه فمنه الصاحبة والولد ، والأمر واحد في العدد" بل صرّح ابن عربي بأنّ النبي (ﷺ) هو الذي استوى على عرش الله حيث يقول بالنص "بدء الخلق هباء ، وأول موجود في الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالاستواء على العرش الرحماني، وهو العرش الإلهي" (الفتوحات المكية ١/١٥٢)، وقد شرح هذه العبارات القاشاني شارح فصوص الحكم، وقرّر أنّ النبي هو قبة الكون، وهو أول الوجود، وأنّه جزء من نور الله، تعالى الله عمّا يقولون علوّاً كبيرا، ويربط ذلك بعقيدتهم في وحدة الوجود حديث جابر المفترى .

وهذا الكلام من أعظم الكفر وأظهره، بناه على خلط عظيم بين أنواع الوجود، وجود في الأعيان ووجود في الأذهان ووجود في اللسان ووجود في البنان وجود عيني وعلمي ولفظي ورسمي، فضلاً عن أنواع التفريق بين أنواع الوجود الواحد ، وقد تتبعه شيخ الإسلام وبين خلطه

وخطله في غير موضع[٢٨]، بل ذكر بأسانيده كلام بعض الأعلام من المتصوفة فيه، وتكفيرهم له، كأبي العباس الشاذلي تلميذ الشيخ أبي الحسن الشاذلي، رحمهم الله، وغيرهم .

قال شيخ الإسلام (الفتاوى ٢/٢٣٨) : "وما يرى في هذا الباب من الأحاديث هو من هذا الجنس مثل كونه كان نوراً يسبح حول العرش، أو كوكباً يطلع في السماء، ونحو ذلك كما ذكره ابن حمويه صاحب ابن عربي، وذكر بعضه عمر الملا في وسيلة المتعبدين، وابن سبعين وأمثالهم ممّن يروي الموضوعات المكذوبات باتفاق أهل المعرفة بالحديث، فإنّ هذا المعنى رووا فيه أحاديث كلّها كذب حتى إنّه اجتمع بي قديماً شيخ معظّم من أصحاب ابن حمويه، يسميه أصحابه سلطان الأقطاب، وتفاوضنا في كتاب الفصوص وكان معظّماً له ولصاحبه، حتى أبديت له بعض ما فيه فهاله ذلك، وأخذ يذكر مثل هذه الأحاديث فبينت له أنّ هذا كلّه كذب" .

الشاهد لا يقول بهذا الحديث الباطل إلاّ من يزعم ويدعي هذا الباطل، أو من تلقفه عنه وهو لا يدري .

آثار أخرى :

هذا وفي الباب آثار لم يسأل عنها، أكتفي بالتنبيه على بعضها والإشارة إليها، فمنها :

- "كنت نوراً بين يدي ربي قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام" وهو كذب .
- ومنها ما ذكره عبد الله الغماري قائلاً : "ومن الكذب السخيف ما يقال أنّ إحدى أمّهات المؤمنين أرادت أن تلفّ إزاراً على جسد النبي (ﷺ) فسقط الإزار أي لأنّه نور، وهذا لا أصل له" .
- وقال أيضاً : "وروى في بعض كتب المولد النبوي عن أبي هريرة قال : سأل النبي (ﷺ) جبريل ،عليه السلام، فقال : يا جبريل كم عمّرت من السنين؟ فقال : يا رسول الله لست أعلم، غير أنّ في الحجاب الرابع نجماً يطلع كلّ سبعين ألف سنة مرة،

---

[٢٨] انظر بغية المرتاد ص ٤٠٠ وما بعدها، والفتاوى ١٤٧/٢ وما بعدها وبخاصة ٢٠٤/٢ وحتى ٢٤٨/٢ .

رأيته ثنتي وسبعين ألف مرة، فقال النبي : وعزة ربي أنا ذلك الكوكب. وهذا كذب قبيح، قبحّ الله من وضعه وافتراه" .

- ومنها ما ذكره محمد عثمان عبده البرهاني في كتابه تبرئة الذمة في نصح الأمة : ولما رأى النبي (ﷺ)استغراب جبريل ،عليه السلام، ممّا قاله لجابر "إنّ أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر" سأل رسول الله (ﷺ)جبريل ،عليه السلام، قائلاً :(يا جبريل كم عمرت من السنين؟) فقال جبريل ،عليه السلام، (يا رسول الله لست أعلم غير أنّ في الحجاب الرابع نجم يطلع كلّ سبعين ألف سنة مرة، ورأيته ثنتي وسبعين ألف مرة، فقال النبي (ﷺ) (وعزة ربي أنا ذلك الكوكب) . . ثمّ سأل الرسول (ﷺ)جبريل،عليه السلام، عن المكان الذي يأتي منه الوحي؟ فقال: (حينما أكون في أقطار السموات والأرض، أسمع صلصلة جرس فأسرع إلى البيت المعمور فأتلقى الوحي، فأحمله إلى الرسول أو النبي . فقال الرسول (ﷺ): (اذهب إلى البيت المعمور واتل نسبي) فذهب جبريل مسرعا إلى البيت المعمور وتلا نسب النبي (ﷺ)قائلاً: (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . .) فانفتح البيت المعمور، ولم يسبق أن فتح من قبل ذلك، فرأى جبريل النبي بداخله، فتعجب، فعاد مسرعا إلى الأرض، فوجد الرسول (ﷺ)في مكانه كما تركه مع جابر، فعاد بسرعة خارقة إلى البيت المعمور فوجده (ﷺ) هنالك، ثمّ عاد مسرعا إلى الأرض فوجده مازال جالسا مع جابر، فسأل جبريل ،عليه السلام، جابرا قائلاً: (هل ترك رسول الله مجلسه هذا؟) فقال جابر : (كلا يا أخا العرب)فإننا لم ننته بعد من الحديث الذي تركنا فيه، فقال جبريل ،عليه السلام، للنبي (ﷺ): (إذا كان الأمر منك وإليك فلماذا تعبي؟) فردّ (ﷺ)قائلاً : (للتشريع يا أخي جبريل)، وتلا قوله تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل ربي زدني علما) وأضاف "كلّ هذه الأدلة توضح أنّ القرآن وهو أكبر معجزة للنبي (ﷺ)كان عند النبي

(ﷺ) قبل البيت المعمور، وقبل جبريل، وهو الخلق وجزء من كل أ . هـ .
تبرئة الذمة ص ١٠٠ ، ١٠١"، قال عبد الرحمن عبد الخالق بعد أن ذكره :
وليس بعد هذا الكفر والزندقة كفر ولا زندقة، بل ولا هذيان وكلّ هذا الذي جعلوه أحاديث ما هو إلاّ افتراءات لا أصل لها ، ولا توجد في ديوان معلوم من دواوين السنة .

- وهناك حديث يتداول بين القصّاص وهو : (أول ما خلق الله نوري) وهو أيضاً باطل لا أصل له .

- ومن الباطل الموضوع : "إنّ الله تعالى خلق نور محمد قبل خلق السموات والأرض، والعرش، والكرسي، واللوح، والجنة، والنار، والملائكة، والإنس، والجنّ . وكان نوره في فضاء وعالم القدس (الجنة) فيأمره الله تعالى تارة بالسجود، وتارة بالتسبيح والتقديس" .

- ومن وضع الشيعة السخيف : عن جابر بن يزيد قال : قال : قال لي أبو جعفر : يا جابر إنّ الله أول ما خلق خلقني وعترتي الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله، قلت : وما الأشباح؟ قال : ظل النور، أبدان نورانية بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس، فبه كان يعبد الله وعترته، ولذلك خلقهم حلماء علماء بررة أصفياء، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل، ويصلون الصلوات ويحجون ويصومون . الكافي ٤٤٢/١ . ورواه البحراني في حلية الأبرار ١٩/١ .

- ومن كذب الرافضة ما ذكره صاحب حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ٢٤٤/١ قائلاً : "وري عن كعب الأحبار قال لما أراد الجليل جلّ جلاله أن يخلق محمداً أمر جبريل أن يأتيه بالطينة البيضاء التي هي قلب الأرض، وبهاء الأرض، ونور الأرض، قال فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرفيق الأعلى فقبض قبضة رسول الله من موضع قبره وهي يومئذ بيضاء، فعجنت بماء التسنيم

وجعلت كالدرة البيضاء، وغمست في كلّ أنهار الجنة، وطيف بها في السموات والأرض والبحار، فعرفت الملائكة محمداً وفضله قبل أن تعرف آدم وفضله، فلما خلق الله آدم سمع من تخطيط أسارير جبهته نشيشاً كنشيش الطير فقال سبحانك ما هذا قال الله يا آدم هذا تسبيح خاتم النبيين وسيد ولدك من المرسلين، قال فكان نور محمد يرى في دائرة غرة آدم كالشمس في دوران فلكها، والقمر في ديجور ليلة ظلماء، وقال الله لآدم خذه ،يعني النور النبوي، بعهدي وميثاقي على أن لا تضعه إلاّ في الأصلاب الطاهرة، والمحصنات الزواهر، قال: نعم يا إلهي وسيدي قد أخذته بعهدك، على أن لا أودعه إلاّ في المطهرين من الرجال، والمحصنات من النساء، قال وكانت الملائكة يقفون خلف آدم صفوفاً، فقال آدم أي رب ما للملائكة يقفون صفاً خلفي؟ فقال الله: ينظرون إلى نور خاتم الأنبياء الذي أخرجه من ظهرك، قال رب أرنيه، فأراه الله تعالى إياه فآمن به وصلّى عليه مشيراً بأصبعه فكان آدم كلما أراد أن يغشى حواء تطيب وتطهر ويأمرها أن تفعل ذلك ويقول يا حواء تطهري فعسى هذا النور المستودع في ظهري ووجهي عن قليل يستودعه الله تعالى طهارة بطنك فلم تزل حواء كذلك حتى انتقل النور إلى وجهها فعلم أنّها علقت بشيث والنور مفقود من وجهه وصار وجه حواء يتلألأ ويزداد كلّ يوم حسناً فلما حملت حواء بشيث عليه السلام بقي آدم لا يقربها لطهارتها وطهارة ما في بطنها وصارت تأتيها الملائكة كلّ يوم بالتحيات من رب العالمين" .

- ومن كذب الرافضة أيضاً :كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزأين، فجزء أنا وجزء علي" . (انظر الطرائف للسيد ابن طاووس الحسيني ص ١٥ ، ١٦) . ولم يتورع في نسبة هذا الكذب والزور لمسند أحمد .

فهذا ونحوه كلّه من الكذب الذي ليس سند يعوّل عليه .

فتاوى بعض أهل العلم:

هي كثيرة أكتفي منها بما يلي :

فتوى الشيخ القرضاوي/ وهي منقولة من موقع الإسلام أونلاين، وهذا محلّها :

HTTP//WWW.ISLAM-ONLINE,NET/IOL-ARABIC/INFO/FATWA-12-11/FATWA-2.ASP

ونصّ السؤال : هل صحيح أنّ النبيّ (ﷺ)أول خلق الله ؟ وأنّه (ﷺ) خلق من نور ؟ نرجو رأيكم مؤيدا بالأدّلة من الكتاب والسنة .

الإجابة لصاحب الفضيلة الدكتور يوسف القرضاوي ، حفظه الله :

شاع بين العامة ممّا يتلى عليهم من قصص الموالد المعروفة أنّ الله قبض قبضة من نوره ، وقال لها : كوني محمداً ، فكانت أول ما خلق الله، ومنها خلق السموات والأرض . .إلخ، ومن هذا شاع قولهم : (الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله) حتى ألصقها بعضهم بالأذان الشرعي كأنّها جزء منه .

وهذا كلام لم يصح به نقل ولا يقرّه عقل، ولا ينتصر له دين، ولا تنهض به دنيا ، فأوّليته(ﷺ)لخلق الله لم تثبت، ولو ثبتت ما كان لها أثر في أفضليته (ﷺ) ومكانه عند الله، وحينما مدحه الله تعالى في كتابه مدحه بمناط الفضل الحقيقي فقال : (وإنّك لعلى خلق عظيم) .

والثابت بالتواتر أنّ نبينا هو محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي المولود من أبويه عبد المطلب وآمنة بنت وهب بمكة في عام الفيل، ولد كما يولد البشر، ونشأ كما ينشأ البشر، وبعث كما بعث من قبله أنبياء ومرسلون، فلم يكن بدعاً من الرسل وعاش ما عاش ثمّ اختاره الله إليه (إنّك ميّت وإنّهم ميّتون)، وسيسأل يوم القيامة كما يسأل المرسلون : (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنّك علاّم الغيوب) .

ولقد أكّد القرآن بشرية محمد (ﷺ) في غير موضع، وأمره الله أن يبلّغ ذلك للناس في أكثر من سورة :(قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ)[٢٩]، (قل سبحان ربي هل كنت إلاّ بشراً رسولا)[٣٠]، فهو بشر مثل سائر الناس لا يمتاز إلاّ بالوحي والرسالة .

---

[٢٩] سورة الكهف : آية (١١٠)

وأكّد النبي (ﷺ) معنى بشريته وعبوديته لله، وحذّر من اتباع سنن من قبلنا من أهل الأديان في التقديس والإطراء: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد الله ورسوله) رواه البخاري .

وإذا كان النبي العظيم بشراً كالبشر، فليس مخلوقاً من نور، ولا من ذهب، وإنّما خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب . هذا من حيث المادة التي خلق منها محمد (ﷺ) .

أمّا من حيث رسالته وهدايته فهو نورٌ من الله وسراجٌ وهّاج، . أعلن ذلك القرآن فقال يخاطبه : (يا أيها النّبي إنّا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيراً)[٣١]، وقال يخاطب أهل الكتاب : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)[٣٢]، فالنور في الآية هو رسول الله (ﷺ)، -كما أنّ القرآن الكريم الذي أنزل عليه نور، قال تعالى : (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا)[٣٣]، (وأنزلنا إليكم نوراً مبينا)[٣٤]، وقد حدّد الله وظيفته بقوله: (لتخرج الناس من الظلمات إلى النور)[٣٥] .

وقد كان دعاؤه – عليه السلام – :(اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي عظمي نوراً، وفي شعري نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً . .) متفق عليه من

---

[٣٠] سورة الإسراء : آية (٩٣)

[٣١] سورة الأحزاب : آيات (٤٥،٤٦)

[٣٢] قال القرطبي،رحمه الله، (تفسيره ٢٥٧/١٢) : "وقد سمّى الله تعالى كتابه نوراً فقال : (وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً)، وسمّى نبيه نوراً فقال: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)، وذلك لأنّ الكتاب يهدي ويبين وكذلك الرسول "فالله يصف نبيه تارة بأنّه نور، وتارة بأنّه سراج منير، والسراج غير النور فهو جسم والآخر عرض، وكلّ ذلك لبيان أنّ النبي (ﷺ) يهدي هداية إرشاد ودلالة، لا توفيق وإلهام كالنور أو السراج، وإنّما هو بشر، فمن تبع هذا أفلح ونجي، ومن خالفه ضلّ وهوى .

[٣٣] سورة التغابن : آية (٨)

[٣٤] سورة النساء : آية (١٧٤)

[٣٥] سورة إبراهيم : آية (١)

حديث ابن عباس، فهو نبي النور ورسول الهداية، جعلنا الله من المهتدين بنوره المتبعين لسنّته، آمين.

فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز[٣٦] وهي في موقعه على الإنترنت:

HTTP//WWW.BINBAZ.ORG.SA/LAST_RESULT.ASP? HID=4471

نصّ السؤال:

نسمع في بعض خطب الجمعة عندنا أنّ رسول الله (ﷺ) مخلوق من نور، وليس من تراب كسائر الناس. نسأل عن صحة هذا الكلام؟

الجواب: هذا كلام باطل وليس له أصل، فالله خلق نبينا (ﷺ) مثل ما خلق بقية البشر، من ماء مهين، من ماء أبيه عبد الله وأمّه آمنة، كما قال جلّ وعلا في كتابه العظيم: (ثمّ جعل نسله من سلالة من ماء مهين) [السجدة: ٨] فمحمد (ﷺ) من نسل آدم، وجميع نسل آدم كلهم من ماء مهين وهو منهم.

أمّا ما يروى أنّه خلق من النور فهذا لا أصل له، وهو حديث موضوع مكذوب باطل لا أصل له، وبعضهم يعزوه إلى مسند أحمد عن جابر، وهذا لا أصل له، وبعضهم يعزوه لمصنف عبد الرزاق وهذا لا أصل له. والمقصود أنّه حديث باطل لا أصل له عن النبي (ﷺ)، وإنما خلقه الله ممّا خلق منه بني آدم، وخلق منه الأنبياء جميعاً، وهو من ماء الرجل وماء المرأة، هذا هو الأمر المعلوم، وأمّا ما يدعيه بعض الغلاة، وبعض الجهلة أنّه خلق من النور فهذا باطل لا أصل له.

وهو نور (ﷺ)، جعله الله نورا للناس بما أوحى الله إليه من الهدى، من الكتاب العزيز والسنة المطهرة، كما قال الله سبحانه وتعالى: (قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين) [المائدة:١٥] هذا النور هو محمد (ﷺ) بما أوحى الله إليه من النور، سمّاه الله نوراً، لأنّ الله جعله نوراً بما أوحي إليه من الهدى، كما قال في الآية الأخرى: (إنّا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]. فهو السراج المنير، وهو نور لما أعطاه الله من الوحي

---

(٣٦) وقد اخترت فتواه لكونه إمام العصر في علم الحديث ومعرفة الرجال، فناسب أن تذكر فتواه.

العظيم من القرآن والسنة، فإنّ الله أنار بهما الطريق، وأوضح بهما الصراط المستقيم، وهدى بهما الأمة إلى الخير، فهو نور وجاء بالنور (ﷺ) ، وليس معناه أنه خلق من نور، إنما خلق من ماء مهين، لكنّه نور بما أوحى الله إليه من الهدى، وما أعطاه الله من العلم الذي علّمه الناس (ﷺ) ، فالرسل نور، والعلماء نور، علماء الحق، لما أعطاهم الله من الهدى، فهم نور للعالم بما اقتبسوه ممّا جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام .